المقتنيات الاثرية وطرق اخراجها من البلاد

د . شاكر محمود عبدالله خضير

الكلمات المفتاحية: المقتنيات. الاثار .المخطوطات .

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير من وطئت قدمه الأرض؛ محمد – (صلى الله عليه وسلم) يقول الله سبحانه وتعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عليكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عليكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عليكَ عَظِيمًا)صدق الله العظيم[1] .

التراث المخطوط هو كل ما يتضمنه من علوم و فنون متنوعة وكل ما خلفه الأجداد من إرث ثقافي سواء كان مادياً ملموساً أو معنوياً، وهو التراث الذي يتشبث به الأجيال القادمة لأصالة هذه الامة وعراقتها وتاريخها وهويتها العربية والاسلامية، فكل ذلك يعتبر ثروة لا تقدر بثمن نظراً لأهميته التاريخية وارتباطه بالعالم العربي والاسلامي وكجزء من حياة الإنسان المسلم الذي يعتبر هو الإرث الحقيقي ليس لحقبة مرت بها هذه الامه وإنما امتداد لمستقبل واعد للإنسان العربي والمسلم الذي ينهل في المرتبة الأولى من تراثه القديم.

فالاهتمام بالتراث المخطوط لا يأتي فقط من خلال المحافظة على المخطوطات والمباني القديمة والقلاع الأثرية، وهو ايضا المحافظة على الأدوات والمقتنيات والأشياء الملموسة التي كان يستخدمها أجدادنا وما توارثوه من أجدادهم، فهذه المقتنيات تحكي عن تاريخ ومراحل تطوره، وما تميزت تلك المرحلة التاريخية من نمط حياة وسلوك العلماء و عكست تلك الحياة أدوات كان يستخدمها العلماء والنساخ و في مراحل تطور حياتهم المعيشية عبر الزمن.

المقدمة:

ومن خلال دراستي لعلم المخطوطات رأيت أن هناك تغيُّرًا في تبعثر وانتشار المخطوطات في اماكن متفرقه بالعالم قد حدث نتيجة استخدام عدة وسائل في نقل هذه

المخطوطات من اماكن وجودها بشتى الطرق الوسائل المعترف بها والغير معترف بها، ويجب أن ألقي الضوء على ذلك، وبالرغم من خوض الكثيرين من الباحثين والمهتمين بالمخطوطات والكتاب السابقين في تلك الامور، إلا أن الأمر لم يعدُ كونه قشورًا خارجية وهامشية دون تعمُّق وتوضيح .

أهمية البحث

في العالم الإسلامي والعربي، تشمل كل الكتب التي كانت مخطوطة حتى إدخال الطباعة عندما ظهرت الالة الطابعة على يد الألماني يوهانس غوتنبرغ سنة 1436 م. حيث كان النسخ من الكتب بالكتابة اليدوية مستمرا ، وما زالت الطباعة مكلفة .

وهنا تبدو اهمية التراث المخطوط في مجال تحقيق النصوص القديمة وهو كل ما وصل إلينا مكتوبا، في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، وهو بالتالي: كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة، ولهذا فأن وما وصلنا من تراث أجدادنا كنز ثمين مختلفة جواهره، ومتنوعة ، ولأنه ضاع منه الكثير وبقي منه الكثير و يحتاج إلى إخراجه إلى النور قصد الإفادة منه والاستقاء من معينه، باعتباره قوة دافعة نحو استشراف مستقبل حضاري لأمة كان لها السبق في شتى مجالات العلم و فروع المعرفة، وهي الآن أحوج ما تكون للالتفات لهذا التراث لتحيي به الثقة بالذات ولترسخ قيم العلم والعطاء المعرفي، متجاوزة حالة الضعف والوهن التي تعيشها، ومتطلعة لبناء حضارة إنسانية منارة بالعلم ومتوهجة بالبحث والاستكشاف، إلا أن هذا التراث الثمين مازال في حاجة لمن يخرجه في أبهى حلله موثقا ومحققا تحقيقا خاصاً.

المبحث الاول

نظرة تاريخيه لبداية الكتابة والمخطوطات

يعد ظهور فن الكتابة بين الناس في العصور القديمة فاصلاً تاريخياً مهماً في حياتهم، وصفحةً مشرقة أضاءت ما قبلها، فالعصور الإنسانية قبل معرفة الكتابة هي عصور حجرية حاول المؤرخون فهمها اجتهاداً من خلال تحليل الصور والرسومات والرموز التي خلفها إنسان العصر الحجري، وأما بعد ظهور الكتابة فلم يعد هناك مجال للاجتهاد، وصار كل شيء واضحاً. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن متى ظهرت الكتابة؟

وإنّ الاجابة على هذا السؤال لا تصح أن تكون إجابة مطلقة برقم ثابت، بل ينبغي علينا أن نفصل في أنواع الكتابة لنحدد تاريخ ظهور الكتابة المسمارية في العراق القديم ، اذ تعرف الكتابة المسمارية بأنها نقوش معينة يتم رسمها على ألواح صلصالية مصنوعة من

الطين، أو الشمع، أو الحجر، أو المعدن، فيتم الكتابة عليها وهي طرية بآلات حادة مدببة تعرف بالأزميل، ثمّ يتم حرقها لتتصلب، وقد انتشرت لدى شعوب جنوب غرب القارة الآسيوية، ويعود تاريخ أول لوحة إلى عام 3600 قبل الميلادي، وقد انطلقت شعلة اختراع الكتابة المسمارية لأول مرة في التاريخ البشري في بلاد الرافدين أي العراق حالياً على يد الشعوب السومرية، وظلت سائدة حتى القرن الأول الميلادي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عام 2400 قبل الميلاد شهد تحولاً في اعتماد الخط المسماري للغة الأكادية، والآشورية، والبابلية، وتمّ فك رموز هذه الكتابة والتعرف عليها مؤخراً في القرن التاسع عشر الميلادي، فتمكن العلماء من فهم النصوص التي خلفها القدماء من رسائل وملاحم وسجلات رسمية ومعاملات تجارية مسمارية.

وظهرت الكتابة الهيروغليفية لأول مرة بعد الكتابة المسمارية بفترة بسيطة، وقد أرّخ العلماء تاريخ ظهورها ما بين عامي 3.300 حتى عام 3.200 قبل الميلاد، وقد استخدمت فيها الصور والرموز الشائعة في البيئة المصرية؛ كالطيور، والحيوانات وأجزاء جسم الإنسان، بالإضافة إلى الأزميل وهو آلةٌ من حديد أَحدُ طَرَفَيْها حادٌّ ينقر بها الحجر والخشب، أَو تُزال بها الزَّوائد من المصنوعات الخشبيّة، والمطرقة، والقلم.

وظلت هذه الكتابة متداولة بين الناس حتى القرن الرابع قبل الميلاد، ثمّ حلت محلها كتابة مشتقة منها ولكنها على نحو أكثر بساطة وهي الكتابة الهيراطيقية الخاصة بتدوين الوثائق الإدارية والقانونية، وكانت تستخدم الحبر العادي وورق البردي المصنوع من جلد الحيوانات، وظلت سائدة حتى القرن السابع قبل الميلاد، لتحل محلها بعد ذلك اللغة الديموطيقية.

وبعدها ظهرت الكتابة الأبجدية عن طريق الشعوب السامية الشمالية الغربية، وهي شعوب بلادي الشام وسيناء، وهي على عدة أنواع كالأوغاريتية في أوغاريت، والفينيقية الخاصة بسكان شرق حوض المتوسط، والأبلوية الخاصة بشعوب مملكة أيبلا شمال سوريا، والأنكا الخاصة بالمكسيك.

فمع تطور حياة الإنسان الأول وتكوين المجتمعات البشرية، وجد نفسه غير قادر على التفاهم مع الآخرين، فاهتدي إلي اللغة واخترع الكتابة لحفظ انتاجه الفكري و ميراثه الثقافي، ومنذ البداية ابتدع الإنسان في بلاد الرافدين الكتابه على الالواح الطينيه مع التوسع في الزراعة ورواج التجارة وظهور العربة ذات العجلة ، والسفن الشراعية، فبالكتابة يتم

تسجيل تاريخ الشعوب والقوانين الخاصة بها لغرض الحفاظ على العلوم والمكتشفات من الضياع لتوريثها للأجيال القادمة دون عناء وتكلف، وتعد الكتابة لغة اتصال وتواصل مفهومة يتم من خلالها تبادل الرسائل بين الملوك والمعاملات الرسمية والسجلات التجارية فكانت اللغة أداة اتصال وتفاهم بين الناس .

وبما ان الوطن العربي يعبر مهداً لأقدم الحضارات التي ترجع الى بداية التاريخ وشهد ميلاد حضارات كبرى متميزة لعبت دوراً مهما في تقدم الإنسانية وتطورها قبل الميلاد، ومن هذه الحضارات

1. حضارة العراق القديمه السومرية والبابلية والأشورية والتي فيها ظهرت الكتابة لأول مرة قبل الميلاد في حدود عام 2900 قبل الميلاد،
2. ومن ثم ظهرت الحضارة المصريه التي ظهرت فيها الكتابه المصرية الهيروغليفية القديمة،
3. وحضارة بلاد الشام وفلسطين ظهرت حضارة الحيثيين والفينيقيين، حيث ابتكر الفينيقيون الكتابة حوالي سنة 1100ق.م ، وهم سكان السواحل الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، استمدوها من الكتابة السومرية والمصرية القديمة. فابتكروا الأبجدية الفينيقية وجعلوا لها حروفا وكل حرف يمثل صوتا معينا. وهذه الحروف أصبحت سهلة الكتابة. وكانت اساسا للكتابة في الشرق والغرب بالعالم القديم.

كما ازدهرت على أرض تونس الحضارة البونيقية، واللغة البونيقية، تسمى أيضا القرطاجية أو الفينيقية البونية. كان يتحدث بها في الإمبراطورية القرطاجية في شمال إفريقيا والعديد من الجزر المتوسطية من قبل الشعب البونيقي في العصور القديمة الكلاسيكية. واستدل عنها من خلال بعض الأثار والكتابات القديمة. وكانت لغة العلم والثقافة بشمال إفريقيا، في القرن الخامس للميلاد. وفي بلاد العربية السعيدة (اليمن) ازدهرت الحضارات المعينية والسبئية والحميرية .

مع ظهور الإسلام واتساع حركة الفتوحات العربية فان القرآن الكريم يعد أول كتاب مخطوط تتكامل فيه العناصر المادية في تاريخ الحضارة الإسلامية فكانت مراحل جمعه وتدوينه بمثابة الشرارة الأولى التي اشعلت حركة صناعة الكتابة والكتاب، حتى انه " لم تكد مصاحف عثمان بن عفان رضي الله عنه – على سبيل المثال – تصل إلى الأمصار حتى تلقفها النساخ فأجادوا نقلها وتنافسوا في كتابتها، وتفننوا في استنساخها. وقبل الحديث عن اثر هذا العامل نلقي الضوء على بعض مراحل جمع القرآن وكتابته ومنها: كتابة القرآن في عهد رسول

الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :مع أن الرسول عليه السلام لم يعرف الكتابة ولم يمارسها، حيث ذكر ذلك الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى : (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [2].

والجدير بالذكر إن العصر الجاهلي يبدأ من قبل قدوم الإسلام بقرن ونصف إلى قرنين وينتهي بقدوم الإسلام، حيث يبدأ بعد ذلك بما يسمى بعصر صدر الإسلام، حيث إن حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تأثرت بقدوم الإسلام، فكان فاصلاً بين عصرين مختلفين.

وبذلك ورث الإسلام أرض الحضارات القديمة، وأسس نمطاً حضارياً جديداً استمده من روحه وتعاليمه، كما تأثر بالمعطيات المحلية للبلدان المفتوحة، حيث امتد الفتح الإسلامي متخطياً موطن حضارات الشرق القديم إلى حضارات الهند والصين شرقاً وإلى بلاد الأندلس وجنوب أوربا غرباً مؤثراً ومتأثراً بها.

ومن المعروف أن الأمة العربية بعد أن بزغ فيها نور الإسلام ودخلت تحت لوائه، وضع المسلمون الأوائل حجر الأساس للثقافة والحضارة، وبمرور الزمن وإقبال الناس على دين الإسلام أخذت هذه الأمة تنزع عنها ثوب البداوة، لتستقبل وتستوعب ما دخل حضارتها من المثل والقيم العليا الأصيلة المستمدة من كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم)، هذا الكتاب الذي حفظ اللغة العربية ومدها بالقدرة على البقاء والاستمرار، فالدين الإسلامي يدعو إلى العلم، بل جعله بمعناه الأعم وسيلة للخروج من ظلمات الجهل والشرك والضلالة إلى النور والتوحيد والهداية[3]، لقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ"[4].

اهتم المسلمون بعلم التاريخ لتسجيل سيرة نبيهم وترجع بداية معرفة المسلمين بالتاريخ بحفظهم لأنسابهم وروايات القصاص عن أيام العرب قبل الإسلام وأزدادت حاجة المسلمين للتاريخ بعد الهجرة وبعد أن أصبحت لهم دولة عاصمتها المدينة المنورة واتخذوا حادث الهجرة بداية لتاريخ دولة الإسلام وأعتمدوا على التقويم القمري وأخذوا بالأشهر العربية، ولذلك فقد ترك العرب المسلمون الأوائل تراثاً فكرياً ضخماً لا تجده عند أية أمة من الأمم الأخرى ولا في لغة من اللغات العالمية الحية، ويتمثل هذا التراث في الكتب والرسائل التي ألفها أصحابها المبدعون في شتى مجالات العلوم والمعارف الإنسانية فكان نتاجهم ضخماً ومتنوعاً ومستوعباً لكل المعارف والفنون، امتد إلى أكثر من أربعة عشر قرناً تضافرت عليه

جهود الآلاف من العلماء والأدباء والخطاطين والنساخين والوراقين، ويقدر العارفون بهذه المخطوطات والمتتبعون لمظانها أن الموجود منها اليوم في مشارق الأرض ومغاربها كثير جداً إنتشرت في بقاع العالم، ولقد كانت دعوة الإسلام إلى العلم و الإقبال على طلبه مدعاة للمسلمين لأخذه و السعي إليه، فكان شغفهم بالعلم منقطع النظير و تجلى ذلك في الإقبال الكبير على القراءة و الكتابة و التأليف و التدوين، خاصة في العصور الأولى للإسلام، و قد ازدهرت حركة الترجمة و التأليف في العصر العباسي بعد تأسيس بيت الحكمة، كما قويت العناية بالمكتبات و الكتب والمخطوطات.

المخطوطات هي: كل مكتوب بخط اليد دون استعمال الطباعة، سواء كانت الكتابة على ورق البردي أو اللفائف أو سعف النخل، أو عظم الكتف أو الورق. فتكون رصيد من المؤلفات و الكتب و المخطوطات يعكس ما وصل إليه بحث المسلمين في مختلف الميادين، ومنها علوم حديثة جاءت بمجيء الإسلام اهتدى إليها المسلمون ببديهتهم وابحاثهم.

المبحث الثاني

ضياع الكثير من المخطوطات

مما يؤسف له هو أن عددا كبيرا من المؤلفات والمخطوطات ضاعت بسبب الفتن والحروب والغزوات، وخاصة حرب التتار، إضافة إلى ما تعرض له التراث الإسلامي في الأندلس بعد سقوط غرناطة في يد الإسبان، فقد تسببت هذه الحروب في إحراق المكتبات والمخطوطات والمؤلفات، كما ألقي كثير منها في البحر، وما سلم منها تم نقله إلى دور المخطوطات والأديرة و المتاحف الغربية خلال الحروب الصليبية و إبان الاستعمار الإمبريالي الحديث، كما تزخر الارشيفات ودور الوثائق والمتاحف في دول العالم بنفائس المخطوطات العربية الإسلامية التي سلمت من الكوارث والنكبات، وهي في حاجة إلى جهود كبيرة لحمايتها.

السرقة الاستعمارية:

وهي السرقة الممنهجة التي قام بها رواد الاستشراق والرحالة والمكتشفون الذين كانوا يجرون خلف الجيوش الجرارة التي أطبقت على العالم الإسلامي، وضاعت عديد المؤلفات التي طمرت تحت الأرض حتى لا ينالها المصير المؤلم، فانتقلت آلاف المخطوطات إلى عواصم الدول الغربية، ثم بدأت الكتب تخرج تباعا محققة من جامعاتها (مكتبة بريل بجامعة ليدن الهولندية على سبيل المثال) وغيرها، وربما كانت تلك هي النافعة الوحيدة من الضارة التي

حاقت وأحاطت بالكتاب الإسلامي، وخير شاهد على ذلك تلك الجهود التي قدمها المستشرق كارل بروكلمان في موسوعته الموسومة باسم (تاريخ الأدب العربي).

ومما لاشك فيه أن المستشرقين الأوربيين هم أول من تنبه في العصر الحديث إلى أهمية تراثنا الفكري القديم، فأخذوا منذ مطلع القرن التاسع عشر، يقتنون وبشكل واسع نوادر المخطوطات العربية والإسلامية، ويصنعون لها الفهارس المتقنة للتعرف عليها، كما عملوا على تحقيق الكثير من هذه المخطوطات ونشرها وفق الأصول والمناهج العلمية، وترجموا بعضها إلى لغاتهم[5]، ولعل المتصفح للكثير من هذه الفهارس يجد كثيراً من الأعلام المستشرقين ناشرين لهذه الكتب والمصنفات العربية.

وفي محاولات رصد التراث العربي وتوثيقه نجد أن الباحث يهمه بالدرجة الأولى التعرف على ما هو موجود من المخطوطات وأماكنها ليتسنى له الاطلاع عليها، ثم اختيار ما يرغب فيه للقراءة، أو التحقيق، أو النشر، ففي ما يتعلق بالمخطوطات وأماكنها، يمكننا الاعتماد على العمل الرائد الذي قام به المستشرق الألماني كارل بروكلمان ونشره تحت عنوان (تاريخ الأدب العربي)[6] وذكر فيه ما يقارب عشرين ألف مخطوط، تعد حصراً شاملاً للتراث المخطوط الموجود في مختلف مكتبات العالم عند وضع الكتاب.

وفي منتصف الستينيات بدأ العالم التركي المقيم في ألمانيا فؤاد سزكين بوضع كتاب عنوانه (تاريخ التراث العربي) باللغة الألمانية، قاصداً في بداية الأمر أن يجعل منه ملحقاً يكمل فيه عمل كارل بروكلمان الآنف الذكر، ولكنه أدرك أن العمل سيكون أضخم مما توقع، فعزم على أن يصدر كتاباً جديداً يضمنه مادة بروكلمان ويستكملها، فذكر مكتبات كثيرة، وتوقف فؤاد سزكين في عمله عند سنة (430هجريه /1039م) لأن هذا التاريخ في رأيه يمثل نهاية العصر الذهبي للثقافة والفكر في الحضارة العربية الإسلامية[7].

وإلى جانب العملين الببليوغرافيين اللذين وضعهما كارل بروكلمان وفؤاد سزكين نجد الكثير من الفهارس الواصفة للمخطوطات الموجودة في المكتبات العامة والخاصة في مختلف بلدان العالم، وضعها بعض العلماء والمكتبيين المختصين بكتب التراث من مستشرقين وشرقيين وعلماء مصريين وعراقيين وعرب. وهذه الفهارس وأن اختلفت في أسلوب الوصف وترتيب المعلومات ومدى الدقة فيها فإنها تؤلف في مجموعها رصيداً مهماً للمخطوطات العربية وأماكن وجودها، وتستكمل عمل كارل بروكلمان وفؤاد سزكين في بعض الحالات، وتسد ثغرة واسعة في السيطرة الببليوغرافية على تراثنا.

ومما لاشك فيه فقد خلفت الحضارات المتميزة، على امتداد سبعة آلاف عام، مخلفات ثقافية أثرت التراث الإنساني متمثلة في ملايين المخطوطات وأوراق البردي والوثائق الرسمية وحجج الأوقاف والسجلات الشرعية. اضافه الى مئات الالاف من العمائر الدينية والمدنية الضخمة، وآلاثار الثابتة والمتنقلة كالتماثيل والأحجار والواجهات المنحوتة، والقطع الفنية من المعادن والأخشاب والخزف والحجر البلوري والمنسوجات والنقوش والمسكوكات، وبسقوط الدولة المملوكية في مصر والشام وهزيمة الصفويين في إيران مع مطلع القرن السادس عشر أمام الدولة العثمانية فقدت البلاد العربية استقلاليتها وتضاءل دورها في السياسة العالمية وسادها لفترة طويلة نوع من الضعف السياسي والخمول الفكري والثقافي[8].وقد تعاصر ذلك مع بداية عصر النهضة الأوروبية وبدء الغرب الأوروبي في مد الجسور بينه وبين ثقافة اليونان والرومان، وفي التعرف على النتاج الثقافي والفني والفكري للحضارات القديمة التي أصبحت أرضها من ممتلكات الامبراطورية العثمانين .

ومن حيث الخلفية التاريخية للقضية فمنذ البداية نقل العثمانيون إلى الآستانة الكثير من التحف الفنية والمشغولات الإسلامية وعدداً ضخماً من المخطوطات العربية والمصاحف الشريفة، وكذلك فقد بدأ الرحالة الأوربيون وقناصل الدول الأجنبية يصلون إلى البلاد العربية ويتعرفون على روائع التراث التاريخي للمنطقة ونقلوا ما توافر في أيدي الناس من هذه التحف إلى أوربا، بسبب جهل أهلها بقيمتها وضعف السلطات المحلية، ثم أدى الاحتكاك العسكري وخاصة منذ حملة نابليون على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، والتنقيبات العلمية التي قام بها علماء الحملة إلى الكشف عن الكثير من المخلفات الثقافية التي أخرجتها الحملة من مصر.

ثم وقع معظم العالم العربي ابتداء من عام 1830م تحت نير الاستعمار، فأصبحت المناطق الأثرية مكاناً مباحاً للمغامرين والباحثين العلميين تحت إشراف القناصل وبتمويل من المتاحف الغربية وأثرياء أوربا، وبعيداً عن رقابة السلطات المحلية التي كانت تجهل الكثير عن قيمة هذه المخلفات، فتسرب العديد من المخطوطات والتحف والآثار والقطع الفنية التي عرفت طريقها إلى متاحف أوربا الغربية ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وبرغم ذلك فان للمستشرقين دور كبير في خدمة التراث العربي الإسلامي وذلك لوجود هذا التراث بين ظهرانيهم وبُعدِه عن المسلمين، بعدما تحولت معظم المخطوطات العربية إلى مكتبات الغرب وأدْيِرته، فكانت اهتماماتهم متعددة من حيث الحفظ والدراسة والتحقيق والنشر والترجمة

والتكشيف، فوصلتنا بسبب عملهم درر ثمينة من أمثال: فتوح البلدان، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وفهرست ابن النديم، وأخبار الحكماء وتاريخ ابن جرير والمسعودي، إضافة إلى دواوين الشعر وكتب الأدب...، وقد استفاد التراث المخطوط في غربته عن دياره وأهله من حفظه ماديا وصيانته من حيث التحقيق والنشر والترجمة وإعداد الدراسات، وإن لم تخل هذه الجهود من ملاحظات وانتقادات في الجوهر والمنهج فإننا يمكن أن نجمل إسهام المستشرقين في خدمة التراث فيما يلي:

- البحث في المخطوطات والرحلة إليها وجمعها وصيانتها وحفظها.
- فهرسة المخطوطات وتوثيقها وتكشيفها وأحيانا تلخيصها.
- التحقيق.
- الدراسة مع العناية بالمعاجم.
- الترجمة إلى اللغات الأوربية.

إضافة إلى نسخ بعض المخطوطات وتحريرها أو تصويرها ونشر اقتباسات من بعضها، كما استحدثوا وظائف النساخ. و هكذا فاهتمام المستشرقين بالتراث سبق اهتمام المسلمين المعاصرين لهم، و الذين دفعتهم تجربة المستشرقين إلى التخصص في خدمة التراث جمعا وتوثيقا وتحقيقا، وممن اشتهر في تحقيق المخطوطات في الوطن العربي: عبد السلام هارون وأحمد زكي وغيرهم.

ريادة المسلمين في المنهج التوثيقي.

إذا كان للمستشرقين فضل كبير في التحقيق والنشر بعد تأسيس الطباعة، فهذا لا يعني أن تحقيق النصوص غريب عن علمائنا، فقد كان لعلماء الحديث السبق والريادة في وضع أسس المنهج التوثيقي، فأصول التحقيق موجودة في كثير من قواعدهم، مثل طرائق التحمل والأداء وما يندرج فيها من معارضة ومكاتبة ووجادة وشروط كل ذلك، ومباحث الضبط وما يتبعها من معرفة بالخطوط قديمة وحديثة، ومصطلحات حديثية كالمقلوب من المتون والأسانيد، والمدرج والمصحف وغيرها، وكان لعلم الحديث وتوثيق الأحاديث وتصحيحها أثر واضح على مجالات علمية أخرى كالتاريخ واللغة و الشعر و غيرها من ضروب الثقافة، حيث تأسس التحقيق وفق منهجية علمية يلزمها المحقق، حتى يخرج النصوص بأمانة علمية، وخطوات ثابتة متسلسلة، تضمن أكبر قدر من الصواب والصدق والعلمية في البحث .

المبحث الثالث

طرق اخراج المخطوطات والتحف الفنية والممتلكات الثقافية خارج البلاد

وفي واقع الأمر فإن تجارة المخطوطات و التحف والآثار والمنقولات الثقافية تعد من أكبر مشاريع الاستثمار وتدر على أصحابها عائداً كبيراً وأصبحت الدول في ظل هذه التجارة تنقسم إلى أنواع ثلاثة [9] :

1- دول مصدرة للممتلكات الثقافية وهي في الأغلب الدول النامية ذات الحضارات القديمة (البلاد العربية- معظم دول أمريكا اللاتينية- كثير من الدول الإفريقية- بعض البلاد الأسيوية- دول البحر الكاريبي دول الأقيانوسية المنتشرة بين استراليا وآسيا).
2- دول مستوردة للممتلكات الثقافية هي غالباً الدول الرأسمالية الغنية (الولايات المتحدة- دول أوربا الغربية- اليابان ....).
3- دول وسيطة تشجع ظروفها وتسمح قوانينها بعبور المهربات كبعض دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

الخاتمة:

فان ما تعرضت له مقتنيات التراث العربي والاسلامي والمخطوطات من النهب والسلب ومن حيث طرق خروج التحف الفنية والممتلكات الثقافية، للأسف الشديد خرجت الكثير من هذه التحف والقطع الفنية ابتداء من القرن الماضي بطرق معترف بها وبطرق غير شرعية هي أقرب إلى النهب والسرقة والطرق المعترف بها تمت بواسطة:

1- الإهداء، حيث أهدي ملوك الدول الكثير من هذه القطع إلى ملوك أوربا بناء على طلبهم ووضعت في متاحفها.
2- القوانين التي وضعها الاستعمار أو الانتداب.
3- الاتجار، حيث سمحت بعض قوانين الدول العربية بالاتجار بالآثار .
4- بيع النسخ المكررة أو قليلة القيمة.
5- المقاسمة بين البعثات الأجنبية والسلطات الوطنية.

وكذلك خرجت الكثير من هذه الممتلكات الثقافية بطرق غير شرعية هي أقرب إلى النهب والسرقة عن طريق:

1- الحفائر غير الشرعية.
2- السرقة من المواقع الأثريةوالمتاحف ومراكز المخطوطات

3- الحقيبة الدبلوماسية.

4- عيوب القوانين الخاصة بالآثار.

كما أن الدول العربية التي تنبهت لإنشاء إدارات للآثار منذ نهاية القرن التاسع عشر سيطر عليها الأجانب وانعدمت فيها تقريباً الكوادر المحلية، مما ساعد على تسرب حصيلة الحفائر العلمية غير المراقبة إلى الخارج.

الهوامش :

---

(1)[النساء:113].

(2) (العنكبوت الايه 48)

(3) تفسير الجلالين.

(4) سورة الجمعة، الآية (2).

(5) انظر: عبد الجبار عبد الرحمن: ذخائر التراث العربي الإسلامي، ط1، 1981.

(6) انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،

(7) انظر: نفس المصدر السابق ، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي.

(8) انظر مقالة أ.د ايمن فؤاد سيد في كتاب التراث الحضاري الغربي الاسلامي خارج الوطن العربي ص173، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1991

(9) انظر: نشر هذا لبحث المميز في مجلة: تراثيات - ص 57الى ص 66التي تصدر عن دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة وذلك في العدد الثامن (جمادى الأولى 1427هجريه، الموافق يوليو 2006م.).

Antiquities and ways to get them out of the country

Dr. Shaker Mahmoud Abdullah Khudair

Keywords: collectibles. Antiquities. Manuscripts.

Summary:

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the best of those whose feet set foot on the earth. And the grace of God upon you was great.) God the Great has spoken the truth.

Manuscript heritage is all that it contains of various sciences and arts and all that the ancestors left behind in terms of cultural heritage, whether material, tangible or moral. Historic history and its association with the Arab and Islamic world and as part of the life of a Muslim who is considered the true legacy not of an era that this nation went through, but an extension of a promising future for the Arab and Muslim man who draws first from his ancient heritage.

Interest in written heritage does not come only through preserving manuscripts, ancient buildings, and ancient castles, it is also preserving the tools, collectibles, and tangible things that our ancestors used and what they inherited from their ancestors. Scientists and that life reflected tools that were used by scientists and scribes and in the stages of development of their living lives over time.